شخصية نزار قباني وشعره

دراسة موجزة واستنتاجات

أ.م. د. طالب خليف جاسم السلطاني
كلية التربية الاساسية – جامعة بابل

" المقدمة "

ولد الشاعر نزار توفيق في الحادي والعشرين من شهر مارس "آذار" من عام ١٩٢٣م في حي دمشقي قديم "ماذنة الشحم" لاب فلسطيني الأصل وام دمشقية ، ونشا في افياء روضة ترفل بازهارها الست :معتز ،ورشيد،وصباح،ونزار ،وهيفاء،ووصال. ،ودرس في دمشق وتخرج في كلية الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٥م. لم يعرف الشاعر استقرارا اسريا ،فقد تزوج في شبابه من سيدة سورية ورزق منها بطفلين هما: هدباء وتوفيق ثم انتهت حياته معها بالطلاق ثم اقترن بسيدة عراقية هي بلقيس الراوي حتى وفاتها وكانت قد أنجبت له ولدين هما : "عمر وزينب" وكان والده توفيق قد اشتهر بتجارة الملبس المحشو باللوز في احد أسواق دمشق .عمل الشاعر في السلك الدبلوماسي السوري ما بين ١٩٤٥مـ١٩٦٦م ملحقا بالسفارة السورية في القاهرة، ثم تنقل ما بين اسطنبول وهونك كونك وروما ولندن وموسكو والصين وتايلند وغيرها من المدن. ولا نريد الإطالة هنا بل نريد القول بان ينابيع شخصيته الشعرية تنبع من المشكلات التي مرت به وصقلت أحاسيسه فامه كانت تعاني من الشقاء مع زوجها توفيق القباني ثم حادث انتحار اخته وصال وموتها المأساوي بسبب منعها من الزواج ممن احبته ،مما حدا بالشاعر ان يعطي للحب منزلة مهمة تعويضا لما حرمت منه اخته وانتقاما لها من المجتمع الذي يرفض الحب ،ثم طلاق زوجته الأولى وغير ذلك من المشاكل بضمنها هزيمة العرب يوم الخامس من حزيران ١٩٦٧م .ولقد ترك لنا الشاعر العديد من المؤلفات الشعرية والنثرية التي سوف نتطرق الى ذكرها عند الحديث عن الشاعر نزار ونقوم بتحليل بعضها وشرح بعضها الآخر ،حيث ابتدأت مؤلفاته منذ العام ١٩٤٤م وحتى العام ١٩٩١م. ،وكان للمرأة حصة الأسد فيها فهي العاشقة والمعشوقة في ان واحد . وكذلك كان للحب وحرية الإنسان الاهتمام الواضح أيضا .وكما اهتم نزار بقضية المرأة فقد اهتم بأمور السياسة كذلك فهو احد فلاسفة الكلمة الذين وقفوا ضد الاستعمار ،وقد أصدع بكلمة وهي كلمة الحق في وجه "جورج بوش" في العام ١٩٩٧م وبالتحديد في لندن اذ قال له اجل انا مع الإرهاب ،قبل ان يسمع من جورج بوش اتهام العرب بالإرهاب .نعم مات نزار قبل سقوط بغداد بيدا لاحتلال الأجنبي بخمس سنوات .ان نزار قباني وهو يرفع صوته بالنقد ويحاول ان يهز الأوضاع العربية السلبية إنما يهدف إلى التخلص من هذه الأوضاع لتصبح الأمة مثل الأمم الحية التي تملك مصيرها بيدها ،ولقد نظم نزار الكثير من القصائد التي تمثل العشق والحب والقصائد المغناة ورثاء الأحبة والشعر السياسي وما إلى ذلك من الأمور التي يتصف بها شعراء الشعرية الحداثية والنرجسية وما يتصل بحب الذات ، فهذا هو الشاعر نزار الذي سيبقى في الذاكرة ولقد قمت بتقسيم الموضوع بحسب ما يحتاج الموقف لتغطية المفردات التي بحاجة إلى توضيح ومن خلال ضرب الأمثلة المهمة من القصائد الشعرية التي سوف نتطرق اليها من خلال تغطيتنا للموضوع الذي يبحث شخصية نزار وشعره ،معتمدا على المصادر والمراجع المهمة التي عززت عندي الرغبة في دراسة هذا الشاعر العربي الكبير ولقد ختمت بحثي بخاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث .

شخصية نزار قباني وشعره – دراسة موجزة واستنتاجات

يكاد يجمع دارسو شعر نزار قباني على منهجه الحسي ، ولعل هذا كان نتيجة لالحاح نزار قباني جمال ومفاتن الجسد وما يتصل بها من جماليات ،ملابس المرأة وحليها وزينتها مما جعل شعره يمتاز بالغزل المحسوس وكاد يخرجه من عالم التجربة العاطفية ، وبذلك وقف أمام جسد المرأة ولا يتعداه في عالم الوجد والنشوة الروحية ، والقارئ لقصائده يراه يشير الى المرأة من خارج ولا تتغلغل قصائده لوصف المرأة من الداخل ، ولهذا فقد انتشر شعره بين أوساط القراء واقبلوا عليه بسبب الكبت الذي كان سائدا في المجتمع في تلك الحقبة من الزمن (١) ولقد كتب الشاعر نزار مجموعاته الشعرية الكثيرة،بلغة بسيطة مباشرة وعفوية وكان أمامه رائحة فساتين المرأة وبهدوء مرتجل يرفض نزار عالم الأطفال ومأساة الحرية والخبز "مأساة الإنسان العربي" المفقود في واقعه العربي الممزق لينتقل بعفوية إلى رائحة التبغ وحضرة العيون ونقوش الستائر ،وفي رفضه لقضية امته ،قضية الأطفال والخبز والحرية ربما ترتسم وتتضح

(١) النرجسية في ادب نزار قباني، خريسنو نجم، ص: ١٢٦-١٣١

خطوط مأساة الشاعر التي تتجسد في الإنسان الضائع ،ولكنه يرفض الاعتراف بضياعه ،ويريد الشاعر ان تعيش في عالمه العفوي المراهق (١) ان شعرية نزار تعود في ذيوعها إلى ما يسمى ،" قانون الاستجابة البدائي" الذي يجعل الموقف الجمالي مرتكزا على المنبهات الحسية الحادة مثل منبهات البصر واللمس والذاكرة بحيث تحكم الآثار الثانوية لغريزة الجنس في عمق التجاوب او سطحيته (٢) ، ولقد كان شعر نزار ذائعا منتشرا لانه كان حاجة من نوع ما هي " جوع او ظما" والذي يستطيع ان يجعل من الشعر حاجة وجوعا وظما لكل من له اذنان لابد انه وضع اصبعه بكل سر خفي في أعماق كل نفس ، (٣) ،اذ ان اللامبالاة تجاه العالم الخارجي وهي موقف اللاموقف بالمعنى الفلسفي ،فاللامبالاة لاتنبثق من مجال ميتافيزيقي تجريدي منفصل عن الواقع الموضوعي فالشاعر نزار يخاف من رائحة الارض ليرتمي كالطفل هاربا على اذيال فستان المراة ،حيث يقول: وأمس انتهى فستاني التفتا

أرايت فستاني؟ حققت فيه جميع ما شيء نا" (٤)

ومما لاشك فيه ان النقاد ينظرون الى شعر نزار من خلال تحول التمرد العاطفي العشقي الى تمرد سياسي ويتطور التحريض الى تحرير الجسد نحو تحريض على تحرر اخر ،لان الحرية كل متكامل ولا يتحقق فجاة ،ولهذا فنزار لا يقاوم العدو من الخارج على منوال الشعراء الآخرين فحسب ، بل يقاوم العدو من الداخل كذلك في سبيل الإنسان فهو في شعره يرفض الحكام المستبدين ويرفض معهم القمع والمرارة والقهر الإنساني وهذه رؤية نقدية تكمن في خصائص ورائيات شعر نزار . ، حيث يرى الناقد جبرا إبراهيم جبرا ان شعر نزار يمتاز بالتناقض في شعره عن المرأة ،فهو الذي جعل منها لعبة ووعدا بلذائذ الفراش ثم يعود ليؤكد رفضها لذلك على لسانها وبهذا فشعره يتضمن محاور حقيقية (٥) .مما تقدم تصبح المرأة عنده كتلة من اللحم نهدين وساقين وشفاه ...من الياقوت ، وبهذا فهو لم يسجل ملامح المرأة كام وكأخت وكزوجة ،او مناضلة ،وانما هي سلعة فقط اذ يقول:

بدراهمي
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي ...(٦)

وعندما تصبح المراة نصف المجتمع سلعة متداولة لن يكون لنزار ولغيره ان يدافعوا عن مشكلة اللاالتزام في الفن وان الحقيقة ستصمد في وجوههم "المرأة أكثر من كونها لحما او ملذات جسدية ، فالقارئ لشعر نزار يجده تحريرا جماليا اكثر منه ثورة عاطفية او جنسية ، فالحب عنده هو اللعبة التي يلعب فيها الجنس دورا جماليا ، ذلك ان المرأة في شعره شيء طري تتمظهر جمالياته في الترف والعطر والزينة بعيدا عن سماتها الانسانية الاساسية المتمثلة في صنع قرار متحرر في الحياة حبا ورفضا وفي كل ما يتعلق بحياتها كامراة إنسانة تعيش تاريخها وحضارتها .(٧) ان التمازج بين لغة الشعر ولغة الجسد في قصائد نزار ملمح أسلوبي مميز ،ولذلك فقد وصف الدكتور "صلاح فضل " أسلوبية نزار بالاتكال المسرف على"الخيال الجسدي" وهذا أفضى إلى التطابق لديه بين حدود الفرد وحدود الجسد ،ولكن ابرز مظاهر شعره من الوجهة الاجتماعية كما يرى د.صلاح فضل نفسه يرتبط بتنمية الوعي الفردي الحاد بالجسد والانتقال به من مقام المكبوت المسكوت عنه "مصدر الخجل والعار "الى موضوع مستقطب بتجربته الشعرية ،وهذا التحول في النظر الى مفهوم الجسد ووظيفته قد اتاح للشاعر تيسير هذا الموضوع واتخاذه منطلقا لعملية بناء تصور للإنسان مشاكل لما حدث في المجتمعات الأوربية الغربية... (٨) ان الشاعر نزار قباني لم يحاول التحرر من اسر الصور الملونة ومنعكسات الإدراك الحسي وخاصة في مجموعته الشعرية "حبيبتي" وانه يضع كلياته من جديد بين يدي السيدة الارستقراطية المتعجرفة فيقول:

سيدتي ،عندي في الدفتر
ترقص الاف الكلمات
واحدة في ثوب اصفر
واحدة في ثوب احمر

---

(٢) دراسات في الشعر العربي الحديث ،امطانيوس ميخائيل، ص: ١٣٨
(٣) أسئلة الشعر ،منير العكش، ص:٢١-٢٢ وانظر: أساليب الشعرية المعاصرة، د.صلاح فضل، ص٤٧
(٤) دراسات في الشعر،جبرا إبراهيم جبرا، ص:١١٨-١١٩
(٥) دراسات في الشعر العربي الحديث، ص:١٣٩
(١) دراسات في الشعر،ص١٢٠
(٢) دراسات في الشعر العربي الحديث، ص: ١٤٠
(٣) م.ن :ص:١٤٠ فما بعد :
(٤) أساليب الشعرية المعاصرة ، ص:٤٨ فما بعد

يحرق الاف الصفحات ...([1])

والملاحظ ان كلماته ملونة وهي تشبه ثياب حبيبته الملونة وهو يعدها ان يكتب لها ، ان يبحث لها في أعماق الموجات وفي جوف الصدفات عن كلمات جديدة يقدمها لعينيها فيقول :-

وانبش أعماق الموجات

ابحث في جرف الصدفات

اذ نفاجئ في نهاية القصيدة اعتراف الشاعر بان كلماته قاصرة عن التعبير عن محاسن حبيبته وجمالها فيقول :

ولكنك يا قمري الاخضر

احلى من كل الكلمات

فالشاعر يعترف بيأسه عن التعبير عن جمالها ومحاسنها . ([2]) ان المرأة تأخذ جانبا مهما في مخيلة نزار وانفعالاته كلها فهو يعجز عن ممارسة التصور الاستاتيكي العفوي فالمرأة تعد في شعره صاحبة السيادة التي ما زالت سر وجوده وملهم شاعريته وستبقى اكبر من كل الكلمات ([3]) .ان شعر نزار قباني هو نتاج قريحة تتغذى بالماضي ولا تخضع له فالفرق بين غزله والغزل القديم فرق بالنوع وعلاقته بالمراة في دواوينه الأولى علاقة مثالية نسبيا ، فالمرأة معبودة وإلهية ولا نكاد نشعر بوجود واقعي لها ، فهو يقدس جسد المرأة فهو مثالي في الحب وفي مواقفه من الطبيعة كذلك ، فالشاعر يختلف في موقفه من المرأة بحسب تقدمه في السن والخبرة والتجربة اذ تبتعد المرأة عن الطبيعة وتشتد التساقا بشوارع المدينة وفنادقها لتصبح حضور جسدي يتمثل بالقهوة والطائرات والقطارات وصار الحب مهددا بالشبق والشبق عابر لا يستهدف احدا او شخص بقدر ما يستهدف الجسد ، فالمرأة تعد الصورة الأكثر انتشارا في شعره وخاصة من خلال ديوان (أنت لي) و(يوميات امرأة لا مبالية) ([4]). ففي قصيدة " فستان التفتا " يكرر الشاعر الصور الحسية والتشبيهات التي استعملها في مؤلفته السابقة وهي تعد امتدادا للصور الشعرية التي وردت في الشعر العربي الجاهلي وشعر عصر الانحطاط والشعر الأندلسي ، فأصبحت تقليدا شعريا ولم تستطع الزخرفة العارية عند نزار ان تعطي لشعره أي طابع من التجديد فالقمر والليل والنجوم والياقوت والمرمر والرخام والياسمين والقرنفل وغيرها من المواصفات الحسية التي أعطت للشعر العربي في العصور المتأخرة " الانحطاط " طابعا تقاليديا جامدا وأوقفت الفكر العربي عن مجال تقدمه العفوي تستغرق شعر نزار من أول صورة له حتى أخر صورة فلم ينجح نزار في التلاعب بتلك الصور التي أصبحت من مخلفات الماضي ومن التراث الأدبي فنزار في قصيدته "" فستان التفتا يلجأ إلى عناصر وصفية حسية متباينة وغير قابلة للالتحام وإعطاء صورة ديناميكية جمالية متفتحة فيقول :

أرأيت فستاني

صنعته حائكتي من دمع تشرين

من غصن ليمون

من صوت حسون ([5])

فنحن نلمس التفسخ الصوري في هذه القطعة الشعرية الوصفية بين غصن الليمون وصوت الحسون فهو يشير الى وحدة نفسية تعبيرية بين غصن الليمون الذي يعبر عن رمز الثمر والخضرة والربيع وصوت الحسون الذي يرمز الى الغناء الحزين ثم دموع تشرين التي تعكس لنا كآبة الشاعر الغامضة وسط العطر الأنثوي النائم ، ولا تلبث ان تختفي دموع تشرين في مخيلة نزار التي تعشق التزويق والزخرفة الحسية المسطحة فيقول :-

اكمامة عشب البحيرات

ازراره كقطيع نجمات ([6])

لقد سلط نزار جل اهتمامه على جانب الحب في شعره فالحب عنيف عنف الحياة ذاتها ، يخلو من الحس بالإثم ولا علاقة له بالموت والحزن لانه يمثل الفرح دائما ، فالحب عنده خارج عن الشرائع والنظم وهو وليمة جسدية تملا الكون بشهوة النور والبريق وتبقى الصلة بين روعة الكون وجمال الجسد ، وان حبيبته ليست امرأة معينة بل هي كل امرأة وهذا واضح من خلال ديوانه " الرسم بالكلمات " حيث يطغى الجنس

(١) دراسات في الشعر العربي الحديث ،ص: ١٤٢

(٢) م . ن :- ص ١٤٠ فما بعد .

(٣) م . ن : ص ١٤٢ .

(١) دراسات في الشعر : (النار والجوهر)، جبرا ابراهيم جبرا ، ص ١٥٦ .

(٢) دراسات في الشعر العربي الحديث : ص ١٤٣.

(٣) م . ن : ص ١٤٣.

لتضيع الجماليات القديمة ويصبح الحب عبثا ولا خلاصة الا بالشعر ، وبهذا فقد وهب نزار للمراة حريتها في بعض قصائده كما في قصائد متوحشة وكتاب الحب . لذا فان الحب في شعره هو المطلق والمرأة حجة وعذر مؤقت .([1]) لقد تعود الشاعر نزار اللعب بالصور الحسية للمرأة ، ولا شك ان الانعطاف نحو مدى رومانسي جديد سمة من سمات قصائده ، ففي قصيدة " نهر الاحزان " انفتح هذا المدى الرومانسي امام الشاعر ذلك انه يضيع في عيني حبيبته السوداويتين اللتين تمثلان الإيقاع والموسيقى وإحزان الشاعر التي تتمثل في الإنسان الشرقي الذي لايكفيه من المرأة جمالها الحسي ولكنه يحب عينيها فيقول :-

نهري موسيقى حملاني
لوراء وراء الازمان
نهري موسيقى قد ضاعا
سيدتي ثم أضاعاني ([2])

ان المرأة تبكي لكئابة الشاعر الغامضة على الرغم من انها تعودت بان لاترهق نفسها بالاصغاء اليه ولكنها تبكي الان ، فالشاعر يرفض التراث العاطفي الذي يتغلغل في عقليته واعماق لاشعورية وبذلك يمتلك الشاعر جرحا يبقى ينزف بلا انقطاع ولا نهاية فيقول :-

تاريخي مالي تاريخ
اني نسيان النسيان
ماذا اعطيك ؟ اجيبيني
قلقي ؟ الحادي ؟ غثياني ؟([3])

فالشاعر نزار نراه يفصح عن كل شيء بكلمات شعورية فهو لا يزال العاشق المتكبر والشاعر النرجسي الذي يحب اللهو بالالوان وبجسد المرأة فنراه احيانا يكون شاعرا كاريكاتيوريا انتقاميا مشاكسا محاولة منه كمحاولة انسحابه من موقف ما فلم يخط الشاعر في مجال التزويق والاناقة والتلوين انه ببساطة يعشق اشياء عالمه الجمالي كالشال البنفسجي وليل هونكونك وحقل البرتقال ففي قصيدته ثلاث "بطاقات من اسيا" يكرر نزار سلسلة عناصره الهندسية لتركيب مادته الشعرية الفنية في لوحة تعبيرية صممها الشاعر وهي بمثابة لوحة بريشة فنان ورسام فيقول :

الشمس فوق اسيا كحقل برتقال
كلوحة لا تشتري بمال
والليل في هونكونج صندوق من الحلي([4])

انه يرفض اله المجتمع الرأسمالي (المال والثروة) من اجل عيون المراة التي هي كالماس والماس عنصر من عناصر الثروة . وبهذا يبقى جسد المراة هو منتهى النظام وتسويغه بل بوجوده تتحدد مسافات المراة ومواقعها ومكوناتها انه المقياس التي تنقاس عليه وبع عناصر الحياة كلها ، وحياة الجسد من امر الله تعالى ومادته تستمد كيانها بالحضور في المكان والزمان وبمشابهة المحسوسات وكان الانسان جامعا يجسده الكون بامتداداته الحسية الخارج منه صورة من الخفي فيه والغائب عنه صورة من الحاضر لديه والروح التي تسكن فيه ترفعه الى مقام الإلوهية ، فالظاهر من ذلك ان شعر نزار لم يحض من النقاد بدراسة او طرح بعض الاشكاليات المهمة فلم يستطع شعره ان يستبطن مظاهر جسد المراة الشعري على الرغم من احتفاله بهذه المظاهر الجسدية وعلى الرغم من ان النقاد عابوا عليه عدم اهتمامه بالكشف عن دواخل المراة ، فقد وقعوا هم كذلك فيما اتهموا فيه من الوقوف على ظاهر المراة وبذلك فان قراءة شعر نزار في جسد المراة يقدم للقارئ دليلا او اكثر على جدل العلاقة بين الفاعلية الشعرية والتفعيل الجسدي في النص الشعري سواء اكان ذلك في عملية التلقي او في التشكيل ، فالشاعر نزار في رأي بعض النقاد لم يتجاوز السطح الخارجي لجسد المراة ، وشعره يمثل الواقع المرئي البسيط والمباشر ولا يتغلغل الى اعماق الكل([5]).فاذا قارنا شعر نزار بشعر شكسبير نرى ان شكسبير في حبه اعمق وابعد وارهب مما ترى عيناه ، واما عند نزار فانما ترى عيناه يكاد يكون كل شيء . وان عدم استطاعة الشاعر في الانتماء الى المراة لا يسوغ او يبرر له التوجه الى المراة ولا يبدو ذلك بمثابة حل جذري ، وعلى الرغم من ان الشاعر اعطاها الصورة التي تخيلها عنها ، وشكلها مثالا خلقه بنفسه ولذلك كانت بعيدة عن المراة في الواقع ولقد قيل عن

---

١) دراسات في الشعر : (النار والجوهر) : ص١٥٦ وانظر : فن الحب ، اريك افروم ، ترجمة عبد المنعم مجاهد ، ص ٩٢ فما بعد .
٢) دراسات في الشعر العربي الحديث : ص ١٤٦.
٣) م . ن : ص ١٤٧.
١) دراسات في الشعر العربي الحديث: ص ١٥٠.
٢) الجسد ومسخه في الفكر العربي الاسلامي مجازا الى روية العالم ، حمادي الزنكري ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٣٩ / ١٩٩٥ : ص٧٤ .وانظر : شعرنا الحديث الى اين ، غالي شكري : ص ١٥٩ . وانظر : دراسات في الشعر " النار والجوهر " ص ١٣٤ فما بعد .

شعره ان امراة شعره ليست امراة وانما هي فكرة مركزة كثيفة فالشاعر نزار لـم يكـن يرغـب المـراة غايـة انسانية ولا هو قديس جسدها كذلك ، ولذلك فالحب في شعره هو المطلق والمراة هي الحجة والعذر الموقت فالمراة تزول مع الزمن ويبقى الشاعر وهواجسه وحبه الجنوني خارج اطار الزمن فلقد كانت المراة وسيلة الى شعره وكان الشاعر يتعبد في محراب الكلمة التي تمثل جسد المراة الذي يريـده الشـاعر فعشـق الحـرف الذي حقق مجده الشعري ذلك انه ادرك بان خلاصه في ذلك بالشعر وواضح لنا ذلك من خلال قصـيدته فـي ديوانه كعلامة او دلالة بان خلاصه في الفن فيقول :-

كل الدروب امامنا مسدودة

وخلاصنا .. في الرسم بالكلمات ..([1])

فتلك هي فضيلة الشاعر المتمثلة بدوام الالهام ودوام خلق الصورة الجديدة ، وان القـارئ لشـعر نـزار يـرى ان بعض المصطلحات او المفردات تختلط ولا تجد لها تحديدا امثال مفردة الغزل والحب والعشـق ، والناقد قد يتعامل معها كونها مترادفات .ومنذ ان بدا الشاعر نزار قبـاني كتابـة الشـعر سـنة ١٩٣٦م وعنـدما نشـر ديوانه الاول"قالت لي السمراء" سنة ١٩٤٤م فقد كان ديوانه هذا تعبيـرا جريئـا عمـا يعانيـه جيل الحـرب العالمية الثانية من ضياع وكبت عاطفي فاكتشف نزار لغتـه الخاصـة منـذ بـدا الكتابـه واخـرج المفـرده مـن المعاجم وجعلها على حد قوله عصفورا يحط على نوافذ الناس كلهـم وازال جـدار الرعـب القـائم بـين اللغـة العربية الفصحى واللغة العادية "لغة الخطاب اليومي المعاشة ، وحول الشعر الى خبز وقوت يومي وقماش شعبي يلبسه الجميع ،فلقد اخترع نزار لغة واستطاع ان يخطف الشعر من شفاه النـاس وافـواههم وارجاعـه اليهم ،فكسر بذلك الحاجز وهو جدار الخوف من الشعر القائم بين الناس وبين الشعر ،وهو يشعر بكبرياء لا حدود له لانه استطاع ان يحول الشعر الى قماش شعري شعبي يرتديه كـل النـاس كمـا ذكرنـا ، ويعـد اللغـة وسيلة للتواصل يجب استخدامها على هذا الاسـاس ،فهـو يريـد تحويـل الشـعر الـى عصـفور اليـف ويـؤمن بالحب الذي يجري في عالمه الخاص ،والمهم ان يطلع الناس على انفسهم وعصرهم مـن خـلال شـعرهم او كل شعر . ([2])

فاذا اطلعنا على بعض قصائد نزار كما في قصيدة "شرق" التي يقول فيها:

كسرت جرار اللون ،موعدنا
في الغيم تحت نوافذ الشرق
بمرافئ الفيروز... رحلتنا
وعلى ستور المغرب الزرق
ومع العبير تسوح فرشتنا
وردية عطرية الخفق ...([3])

ان القارئ لمثل هذه الالوان يرى شدة الحساسية على الرغم من ان الالوان تسببية واولية ،وان نزارا عبارة عن شيطان عاشق يحاول اغراء امراة بالحديث عن الوان الطبيعة وروائحها وهي في ارق حالاتها ويضمن مكونات النص الجنسي ،ويكاد يكون عديم الصلة بالجسد ،ورغم كثرة الاشارة الى الحـرق والاحتـراق فـان القارئ يتلذذ باحتراق داخلي احادي اكثر منه التهاب جسدي تضـئ نـاره الـدنيا ، وبـذلك فـان قصـائد نـزار الاتية هي التي تفصح عن ذلك كما في قصيدة " طفولة نهد" التي يقول فيها: كانت على ايوانها

وكان يبكي الموقد
وكل مافي بيتها معطر ،ممهد ... ([4])

فهنا يوجد الاحساس الغريب بالاصوات وهي المهمة ها هنا ..العطر ..والموقد في الـداخل والشـتاء والرعـد في الخارج ولكن الاصوات هي التي تشغل فكر وبال الشاعر ،الموقد يبكي والشتاء يعـوي والـذرى كـاللوح ترعد ،...الخ .كلها اصوات انشاد الشاعر ،وهي من نوع معين اقرب الى الكابـة الرومانسـية وهـي تتمـازج في الاصوات كلذات العطر واللمس ترنو الى المراة ممزوجة برغبة لها يـد . ،فالشـاعر نـزار صـياد بـارع ومصور ماهر فهو يقتنص الصور ويخلق الصلة والعلاقة بالصورة اللفظية بين موضـوعه وبـين العـالم او بين ذاته وبين الاخرين .([5]) فكلما كان الخيال اوسع واعمق ازدادت التجربة والخبرة سعة وعمقـا واشـتدت جذورها تشعبا في تجارب الماضي والمستقبل وعند ذلك يتجلى الوعي عند نزار كشاعر وكاديب .

---

١) نزار قباني شاعر المراة ، اليا حاوي : ٩٠/١ . وانظر : دراسات في الشعر " النار والجوهر " ص ١٥٦ فما بعد .
٢) الجامع في تاريخ الادب العربي ،حنا الفاخوري، ص:٦٨٦ فما بعد
٣) ديوانه: ١٢٠/١ وانظر: دراسات في الشعر "النار والجوهر"،ص:١٢٦-١٤١
١) ديوانه :ص١٢٩
٢) دراسات في الشعر "النار والجوهر" ،ص١٣٩ فما بعد

ان شاعرا كنزار قباني هو مبدع لان الشعر هو سمة الأصالة في كل الفنون وعند اغلب الشعراء ،فالشاعر يطمح الى الحالة الموسيقية عن طريق الشحنة الشعرية الكامنة في الشعر ،ولان لغة الشاعر نزار هي مدار الابداع والتشكيل الشعريين .،ولذلك فقد كان يعمل وينظم الشعر بهاجس الوصول الى رغبته والوصول الى الحداثة او المعاصرة وصنع حضارة وثقافة البشرية . (١) ومن خلال دراستنا نجد ان تجربة نزار قباني تستلهم الهموم الانسانية ،فعالمه عالم الظلمة وكان الشاعر نزار يرى في الظلمة على العكس من غيره من بعض الشعراء ، فالشاعر جبرا ابراهيم جبرا الذي لا يكاد يرى في الظلمة شيئا وانما يعتمد الوضوح ، بيد ان علينا ان نذكر ان نزارا وفي بعض قصائده يجمع مادته الفنية وعناصرها ومواضيعها من مظاهر المجتمع البرجوازي وحياته البرجوازية ثم يؤلف بين تلك المواد او المظاهر بخيال برجوازي قصير الامد عن قضايا الشعب الواقعية ذلك ان عقلية او مخيلة البرجوازي تعطي تسويغا باستقلال الفن وترفعه عن ممارسة قضايا الجيل ومعالجتها ،وحتى ان عاطفة البرجوازي تجاه المراة عبارة عن كتلة لحم مسلية واتحاد مظاهر الحياة البرجوازية اساسا للملاءمة او للتوافق العاطفي ،وهذا واضح من خلال الكثير من مقطوعات الشعر

فحتى نفرض ستاراتنا
وحتى اختيار اسطواناتنا
وليل عميق
على اننا رفيقا مصير ...رفيقا طريق (٢)

فالقارئ لشعره يستنتج منه الروح والعقلية البرجوازية شاء ام ابى ،فهو شاعر الطبيعة والعقلية البرجوازية ان صح التعبير ، ولقد اقتصر قباني على وصف المراة الساقطة في المجتمع الراسمالي في اغلب مجموعاته الشعرية الكثيرة ويرى في ذلك نعمة من نعم حرية الفن عليه ومن الهام شياطين افكاره ، وانه لا يلتفت الى متطلبات شعبه وامته في الاستقلال والتحرر والخلاص ،بل ان كل ذلك لا يعنيه بشيء ،فالمهم عنده انه كرس معظم جهده في وصف الانسان البرجوازي ومشاكله ،فهو بذلك يمثل الفكر البرجوازي خير تمثيل ، ولكن الفكر البرجوازي لم يمنح نزار رصد اعنف حركة وظاهرة اجتماعية وانسانية في التاريخ العربي الحديث وهي "امراة النفط" التي تكشف امكانات العرب الحضارية وتجسد وجه الصراع العربي بين الواقع والفكر والارض وعبودية الضمير الاقطاعي المستبد . ، ولقد احدثت قصائده"خبز وحشيش وقمر"الصادرة عام ١٩٥٤م و"هوامش على دفتر النكسة" الصادرة عام ١٩٦٧م رجة في المجتمع العربي ،لما تضمنته من قسوة وجراة وواقعية في نقد مظاهر التخلف في المجتمع (٣) ،ولقد كتب هجائيته "الحب والبترول " لكي يتمرد على واقعه العربي المتخلف وهو بذلك يكشف لنا بما لا يقبل الشك عن ان عبقريته الشعرية عندما تمتزج مع القضايا الاجتماعية او تلتحم معها فانها تستطيع ان تحدد خطوط ماساة الشاعر نزار الذاتية والموضوعية كفنان وكانسان عربي ،حيث تبدا قصيدته "الحب والبترول " باستفهام انثوي حول دعوة امير النفط لسيدة من الحريم ،استفهام يتضمن معنى الرفض والتمرد على عبودية واستقلال المال والضمير فيقول:

متى تفهم ؟
متى يا سيدي تفهم ؟
باني لست واحدة كغيري من صديقاتك
ولا رقما من الارقام يعبر في سجلاتك (٤)

وهكذا الى اخر القصيدة التي تشير الى تفجر ايقاع ماساوي بصراع انثوي يمثل ماساة فلسطين التي باعها المفلسون ليعيشوا مع الساقطات في دهاليز الظلام امثال باريس فيقول:

كهوف الليل في باريس قد قتلت مروءاتك
فبعث القدس بعث الله بعث رماد امواتك

ولا يفوتنا امر مهم الا وهو ان شعر نزار في مراحله الاولى يبقى في معظم الاحيان برائيا دونما "جوانية "تتصارع فيها تناقضات التجربة الشعرية وترى ان وجود الصراع الداخلي فيه امر نادر وغريب حيث تنفتح تجربة الشاعر على صور تتسع وتتعقد علاقاتها بوقائع الحياة ،حيث تصبح وسيلته للنفاذ الى دواخل الرجل والمراة على حد سواء في اشد حالاتها توهجا . (٥)

---

٣) الفن والحلم والفعل،جبرا ابراهيم جبرا ، ص:١٣٢ وانظر: ينابيع الرؤيا،جبرا ابراهيم جبرا، ص:١٣٠
١) ديوانه وانظر: دراسات في الشعر العربي الحديث ،ص:١٥٢
٢) الجامع في تاريخ الادب العربي ،ص:٦٨٨ وانظر: دراسات في الشعر العربي الحديث ،ص:١٥٣ فما بعد
٣) نزار قباني : حياته وشعره ، عبد القادر الدراويش ، ص ١٢٤ فما بعد .
١) دراسات في الشعر "النار والجوهر" ،ص: ٤٧

وان سمة جذب الحب الازلي والجماليات المشرقة هما البؤرة التي دارت حولها بعض نصوص شعر نـزار التي لم يقف بوجهها جماح التدفق النقدي السردي الابـداعي ،مـنهج حـازم ولـم يتقيد بشـيء وهـو بـذلك قـد يختلف عن غيره من الشعراء امثال الشاعر ،جبرا ابراهيم جبرا .([1]) ويبدأ شعر نزار بالتبدي للانفتاح على مشكلات امته ، فهو في انغلاقته الغنائية القومية يشكل نجاحا لم يشهده من قبل عند الباغيات من النسـاء فـي المجتمعات البرجوازية ،ومن ثم يتمرد على ذلك فيعود الـى ذاتـه بعـد ان كـان الجـنس مسكنا لنـزار قبـاني وحيث يمثل خرافة يتحللبها من الواقع ، وعندما يعود الى ذاته فهو يعشق ذاتـه بعودتـه الـى ذاتـه بمجـرد ان يرسم بالكلمات لوحاته الجمالية الشعرية التعبيرية التي تتحدث عن مغامراته مـع النسـاء وهـذا يعطـي لمثـل هذه اللوحات مواصفات يستعملها فيعطي للشعر صفة البحر والليل وللثـوب صـفة عشـب البحيـرات وللنهـد سكين الفضة وطعنة الخنجر وقطعة الجـوهر وللعيـون الفيـروز ونيسـان والليـل والزنبـق ...وهكـذا اسـمعه يقول:

وفي مرفا عينيك الازرق
يتساقط ثلج في تموز ... ([2])

فالصورة عنده كون شعري حفرت فيـه الصـورة اللونيـة والتشـكيلية ،فتجسـدت عالمـا فنيـا حـافلا بالخيـال والايحاء والتكثيف ([3]) ، وعلى الرغم من ان نزارا رجل معقد كما يعترف هو نفسه فانه يستطيع ان يتصور ان الحب مغامرة بلا هدف ولا غاية وهذا يصح في المجتمع البرجوازي وهو واقعي بالنسبة لشـاعر كنـزار قباني البرجوازي الذي تعود العبث في الصور الجميلة وبنى امجاد الكلمـة علـى اشـلاء الـبعض مـن النـاس المعدمين والبائسين وغلى حساب قضيتهم في التحرر والحياة ، وفي مثل هذا ابدع الشاعر نـزار فـي مجـال الشعر والتشبيهات والمواصفات الحسية ،وبقيت المراة بالنسبة له لعبة يلهو بها وقت ما يشاء . ولهذا السـبب يستطيع الشاعر تحدي المراة في كل النواحي وان يحطم غرورها وكبرياءها متى ما شاء ذلك وهذا واضـح من خلال قصائده المتعددة في دواوينه مستخدما عبقريتـه الشـعرية فـي ذلـك وحلمـه بجزيـرة الـذهب ،هـذه الكلمة التي تتكرر مرات ومرات في قصائده فهو الرجل الذي يـرى بـان القيم الحياتيـة والجماليـة تنبـع مـن الذهب وربما اتخذ منه وصفا لجسد المراة التي ربما اعلن عن حقده عليها لارتمائها في احضـان الغيـر ولـم ترض رجولته وهوا لشاعرا لدراماتيكي المصور للحوادث اليومية التافهة فهو القائل :

ان كان حقدك قطرة
فالحقد كالطوفان عندي ...([4])

نستنتج من ذلك ان الشاعر يستخدم لغة الحديث اليومية العادية ويحولها الى شعر وينجح فـي ذلـك نجاحا كبيرا على المستوى الاجتماعي والعلاقات الجنسية وهو لا يزال يبحث عـن الوجاهـة الشـعرية التـي خبزها اليومي هو الحقد وسماؤها لا تعرف المطر والتي تطارد الحرف وتغتال القمر . ،فالشاعر نزار يمثل الجلاد والضحية في البعض من قصائده لانه اراد ان يقتل المراة فقتل نفسه كما في قوله:

اني قتلتك ...واسترحت
يا ارخص امراة عرفت ..
اغمدت في نهديك سكيني
وفي دمك اغتسلت ...
ولقد قتلتك عشر مرات
ولكني..فشلت
وهربت منك ..وراعني
اني اليك ..انا هربت
حسناء لم اقتلك انت ..
وانما نفسي قتلت ...([5])

ان تجربة الشاعر نزار تشابه تجربة الشاعر " ديك الجن الحمصي " التـي تطالـب بحيويـة الاشـياء المطلقة من خلال فعالية تجربة الجـنس التـي تتنـاهى بـالموت وانهـا محصـلة الانتقـام والعبـث المطلـق فـي الوجود ان تجربة الجنس عند نزار هي تعالي وكبرياء استاتيكي وذهني تتحول في اعماقه الـى نزيـف والـم

---

٢) مجلة الموقف الثقافي ، العدد السادس ،١٩٩٦م، مقالة بقلم: ماجد السامرائي ،بعنوان:جبرا ابراهيم جبرا، "الرؤية النقدية من افـق الابـداع" ص:٧٣ فما بعد

٣) دراسات في الشعر العربي الحديث،ص١٥٥ فما بعد

٤) الايقاع في شعر نزار قباني ، ص٣٣ وانظر: الرسم بالكلمة في شعر نزار قباني ، حسان اليحمدي ، تونس، ١٩٩٢م ، ص١ فما بعد

١) دراسات في الشعر العربي الحديث ،ص:١٦٢

٢) م.ن،ص: ١٦٦

وكابة غامضة تشبه الحب والسحر والدموع .وهكذا تبقى امكانية نزار الجديدة على الانفتاح القيمي والموضوعي والانساني والتعاطف مع مشكلات الجيل الحقيقية قائمة. (١)ومما لا جدال فيه ان نزارا جمع بين الحب وبين القرن العشرين ،فالحب لدى الشاعر قديم قدم جلجامش والالياذة وحديثه حداثة المقالة الجديدة حيث يرى نزار ان شعره كان يحمل خصائص شعر الشاعر " علي محمود طه المهندس " و " ابراهيم ناجي " و " صلاح لبكي " و " سعيد عقل " و " الاخطل الصغير " الذي يعده نزار مهلمه في صياغة الحرف والصورة الشعرية ،وحتى شعره السياسي فلقد كان له قوة تحريضية مستمرة على نطاق لم يعرف مثله حتى شعر " محمد مهدي الجواهري " . فشعره استمرار لتقليد الشعر الغزلي العربي الذي انتعش فجاة في الثلاثينات والاربعينات بتاثير من الرومانسية الانكليزية والفرنسية (الاوربية) التي انتقلت الى الادب العربي بشكل متاخر وبما يقرب من الثمانين عاما او اكثر ، ومن خلال ذلك كله عبر الشاعر نزار عن عاطفته وحبه للمراة بشعره تعبيرا عميقا ،فالحب عنده مطلقا ومحلقا في عوالم مطلقة بعيدا عن الموت والحزن ،ولذلك فقد بقيت رؤيته للحب متوهجة وجميلة وملونة باشراقة امل .(٢) ،واما النرجسية فهي تملا جوانب نفسه الادبية والسلوكية ،انه يعشق نفسه فهي عنده المحور والمدار ينطلق منها واليها يعود ،وعندما يتحدث عن علاقاته العاطفية مع احدى النساء فانه يتحدث من منظور المعشوق لا العاشق (٣) ، ويبقى شعره بحاجة الى سمات وخصائص شعر الاخرين حتى تتوازن وتنسجم في ثقافته العناصر على المستويات كافة التركيب والعقلانية والجمالية ،فاذا كانت أداة نزار موقعها ومكانها جنسي جمالي على الرغم من عدم الجهرية في بعض المواقع الا ان موقف نزار هو موقف المراة بالذات وليس موقف اشكالي مثقل بالاسئلة والفكر والتداعيات ،فعلى الرغم من ان الشاعر من رواد الشعر العربي الحديث في سوريا ومن الشعراء السرياليين ،شعراء الجمال ،الا ان حب نزار لا شان له بموازين المنطق كما عند غيره من الشعراء كابن حزم الاندلسي ،فالحب عنده خارج على الشرائع والنظم ،ففي زمانه جعلت فيه كل فلسفة موضع شك وريبة انطلاقا من مقومات كل عصر .(٤) .ان فهم الثوابت عبر موضوع المراة من خلال التفاعلات الداخلية الجارية في شعر نزار شيء غاية في الأهمية لان ذلك يعبر عنه بالمفردات التي تمثل لغة نزار وبالتحديد في مختلف مراحله الاولى كما ذكرنا انفا ،فلقد تحول الشاعر في مفرداته من عالم طوباوي حلمي الى عالم متناهي اشد صلة بالواقع .(٥) ان الالمام بسمات شعر الشاعر نزار قباني ليس بالشيء اليسير بل بحاجة الى قارئ واع ومبدع يتذوق ما في الشعر من مرجعيات متعددة كالمرجعية المنطقية الموجودة في بعض قصائده ،فكلمة (النبوءات) مثلا تعد مرجعية او لنقل شبه الجملة الاعتراضية مرجعية ،وهي من المرجعيات المنطقية لدلالتها على الكثرة والغلبة والذي حدث ان العرب هم الذين تشردوا وبعثروا وفقدوا صوابهم ، على العكس مما كان متوقعا من تشرد اليهود وتبعثرهم كما في قصيدته :

ذبحتنا هذه الحرب التي من غير معنى
افرغتنا من معانينا تماما
بعثرتنا في اقاصي الارض ...
منبوذين مسحوقين ..مرضى ,..متعبين
جعلت منا خلافا للنبوءات يهودا تائهين .. (٦)

فمن يقرا نصوصه الشعرية سوف يدرك تماما ان وجود المفارقة في شعر نزار لم تكن وسيلة اثرائية لشعره وللمرجعية فحسب ،بل هي وسيلة اثرائية للنقد ايضا ،فالناقد بواسطتها يستطيع ان يقدم للقارئ او للمتلقي ما يتقبله من المقاطع الشعرية المتناثرة في القصائد المتكاملة الطويلة من خلال اقتناصه للحظات الشعرية التي تنبعث منها شرارة التضاد ذو الخصب الشعري وتحليل الناقد الصافي لنماذج شعرية تنصهر بها مستويات مختلفة للمفارقة تسهم في اغناء المفهوم الشعري وتعمق ابعاده ،فالنقد مدعو لمقاربة المفارقة نقديا بغية اقتناص القوانين الخاصة بها في الأثر الأدبي(٧) ،وبهذا تكون المفارقة عبارة عن وسيلة اسلوبية تنتج الشعر وتثريه ليرى بها الشاعر ما لم يكن يراه من قبل ،فهو يكتب اللفظة الجميلة السهلة مهما يكن موضوع شعره (٨) وربما استخدم الشاعر نزار المرجغية تركيبا وايقاعا ولم يفارق دلاليا الا من حيث استعمال الدال

---

١) دراسات في الشعر العربي الحديث :١٧٠
٢) دراسة في الشعر "النار والجوهر"،ص١١٨ فما بعد
٣) الايقاع في شعر نزار قباني ،ص:٢٥ وانظر: نزار قباني في عيون النقاد، جعفر ماجد ص:٧٩
٤) افاق الادب المقارن عربيا وعالميا ، د.حسام الخطيب ، ص:٣٧
٥) نقد الشعر ،علي الطائي ،ص١٩٤ فما بعد
١) المفارقة في شعر الرواد ،د.قيس حمزه الخفاجي، ص: ١٨٨
٢) مبادئ النقد الادبي أي.اي.ريشاردز ،ص٣٢١
٣) نظرية الانواع الادبية، م.ل.فنسنت ،ص١٧وانظر :الاعمال الشعرية الكاملة ،نزار قباني، ص:٢٩١،٢٨٩

او اداة الدلالة على المدلول او وظيفة الاداة ، وهذا واضح من خلال الكثير من قصائده التي تتضمن الكثير من الصور البلاغية والنحوية وصور المفارقات التي تكثر في شعره كما تكثر في شعر غيره من الشعراء الرواد وباسلوب سهل مع الرقي بالفكرة وبحسب ما يتطلبه المعنى والنص . وهكذا هو ديدن الشعراء الافذاذ امثال الشاعر نزار في الكثير من مولداته الشعرية مثل "قطتي الشامية" و"حارقة روما" "وهوامش على دفتر النكسة" وغيرها من القصائد التي ابدع فيها ايقاعا وتركيبا ودلالة وحتى عروضيا ،فهو شاعر تسمع صدى كلماته في قلب الحجر ولابد ان تتعدد مشارب دراسته وان تختلف اساليبه ورؤاه ومقاصده ،ولا باس فهو مثال على النابغين من الشعراء والتابعين الى مدرسة الامير عبد الله الفيصل واحمد عبد الغفور العطار وغيرهما .([1]) ومن الجدير بالذكر ان شاعرنا قد نظم قصائده في الديوانين الاول والثاني على وزن البحر السريع والخفيف والرمل والمتقارب والرجز ،حيث تستاثر بديوانيه الاول والثاني ،ولانها بحور متقاربة في الخصائص ،كما في قصيدة "طفولة نهد" وقصيدة قالت لي السمراء " وغيرها، ([2]) فشاعرنا نرجسي الى حد كبير كما مر بنا وان فهم شعره يعد فهما للشاعر نفسه ،فهو شاعر المراة بامتياز وشاعر غزل وشاعر حب وشاعر حس ،ولقد رسم فم الحب وطنا واخترع قاموس غزل على قياس الكرامة عوض الذل والفرح عوض النواح والتحدي عوض الاستسلام والانسان العربي الجديد بعد عصور التكايا والحريم والسبايا والعبيد ،فالشاعر يحث المراة على التمرد والنهوض وبات وكانه يدعوها الى الانتقام منه اولا والى التمرد عليه هو ايضا حتى يحبها وهذا هو راي بعض النقاد فيه امثال انسي الحاج . ([3]) ، وان حسية شعر نزار بعثت على الاعتراف الواقعي بالجسد الانساني والدعوة للحد من محاولات تغييبه. ، وبهذا فان شعر الحب عنده يمثل الزوايا المجهولة في اعماق الانسان العربي ،حيث استطاع شاعرنا اخراج العلاقات العاطفية من كهوف الخوف والازدواجية ،ولذلك فقد طالب قباني في ديوانه "يوميات امراة لا مبالية" الصادر عام ١٩٧٠م بحرية المراة جسدا وروحا من سراديب الحريم او شريعة الجاهلية جاعلا من المراة قضية بعد ان كانت سلعة على الرغم من اغراقه في الاباحة اغراقا الحق بالمراة الاذى وبالمجتمع الذي يمثل المراهقين ،وانه كان يريد من قضية المراة ان تكون ثورة عاطفية تتفجر فيها الطاقات الجنسية تفجيرا تخرج معه المجتمع العربي من ازدواجيته . ([4]) وبقدر اهتمامه بالمراة فله اقوال فيها ،كقوله: "ان الحضارة انثى ،فاذا غابت الانثى سقط العالم "([5]) وقوله :" اهم ما في الحب هو الحوار وان المراة غالبا تحاور بذكائها فهي الابقى ، فالمراة التي نحبها يجب ان تكون هناك امكان قيام حوار نفسي وجسدي معها ،والمراة المهمة هي التي تعرف متى تبتعد عندما تشعر ان ابتعادها ضروري وتقترب حين تشعر ان اقترابها ضروري ،فالشاعر نزار يمثل الطفولة وبهذا يقول: " عندما تتركني طفولتي هذا معناه اني تركت الشعر" ([6])،المراة وليس سواها هو الخيال الذي يلاحقه اينما ذهب وحتى المدن التي عاش فيها كمدينة بيروت يشعر بانها فيها شيء من المراة التي كان يحبها الشاعر وهي المدينة السر والمراة السر التي تخفي شيئا وراء عينيها ،فهو بذلك يريد اكتشاف المخفي وراءالاشياء ([7]) مما تقدم فان الموقف النقدي عند نزار يتسم بالحداثة الشعرية المضادة ذلك انه يمثل عبر مواقفه النقدية المختلفة نموذجا متميزا في الشعرية العربية ارتقى خلالها الى مستوى خلق حداثته الشعرية المضادة التي حادت في راي بعض النقاد عن سياق الخطاب النقدي المعاصر ،فهو انسان وشاعر وناقد حداثي يتسم بالحداثة المضادة والثورة على النظام السلطوي داخل المجتمع الغربي وله مواقف كثيرة فكرية وسياسية ضمنها قصائده المتعددة .([8]) ،ونزار ينطلق من عروبته التي لا شائبة فيها وقد صدر مؤخرا كتاب عروبة نزار فباني لمؤلفه احمد الخوص برهن فيه على عروبة الشاعر الحقيقية من حلال تحدياته ومواقفه الوطنية بحيث ذهبت تلك الاقاويل عنه بانه شاعرالحب والمراة فقط ([9])

مما تقدم نجد ان شاعرنا ينطلق من الواقع الشعري لتاسيس عوالم الشعرية الحداثية ،ويرسم بيده قبل ان تفصله يد النقاد على هواهم ،وفي الحقيقة ان النقد العربي كالسلوك العربي قائم على العصبية

---

١) الايقاع في شعر نزار قباني ،ص١٣ وانظر: في الادب الحديث ونقده،عماد علي سليم الخطيب ، ص: ٧٥
٢) الايقاع قي شعر نزارد.سمير سحيمي ،ص: ٣٧ وانظر: الايقاع في شعر نزار ،شكري محمد عيلد، ص: ٢١
٣) الجامع في تاريخ الادب العربي ،ص٦٨٨ وانظر: الايقاع في شعر نزار قباني، ص:٢٨
٤) الايقاع في شعر نزار ،ص: ٢٩ فما بعد
٥) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د.احسان عباس، ص:١٣٤ فما بعد
٦) نزار قباني حياته وشعره، عبد الفتاح الدراويش، ص: ١٢ فما بعد

١) اسرار القصائد الممنوعة لنزار قباني ،بنان محمود ابو عبد، ص:١١ وانظر: رواءع نزار قباني ، ،سمر الضوى ، ص:٧ فما بعد وانظر: قصائد نزار قباني ،محمد ثابت، ٥ فما بعد
٢) تشكل الموقف النقدي عند ادونيس ونزار قباني ، د . حبيب ابو هرر ص ٢٨٠ فما بعد .
٣) عروبة نزار قباني ، د . احمد الخوص ، ص١٥ فما بعد .

والتوتر والانفعال وانه نقد غرائزي يستعمل الاظافر والانياب في التعامل مع الشعر([١]) والواقع ان نزارا ليس لديه نظرية لشرح الشعر وهو يؤكد ذلك فيقول: "ليس عندي نظرية لشرح الشعر ولو كان عندي مثل هذه النظرية لما كنت شاعرا " ([٢]) وان استحالة التعريف في القاموس النقدي لنزار تعود بالأساس الى اختلاف الشعراء في النظر الى الكون الشعري ،فكل شاعر يحمل نظريته معه ([٣]) ،وما دام الأمر كذلك فانه حرام ان نمزق القصيدة لنحصي كمية المعاني التي تنطوي عليها ، ونحصي عدد تفاعيلها وزحافاتها لنقف على وزن بحرها . ([٤]) ،وبهذا فقد احجم نزار عن تعريف الشعر ،واعترف في اكثر من موضع باستحالة مفهوم الشعر وذكر ذلك في كتابه ما هو الشعر؟ ([٥]) واذ يرفض نزار فكرة ارتباط الشعر بمكان معين فانما ليؤكد تعريفه الجديد للشعر وهو كهربة جميلة لا تعمر طويلا تكون النفس خلالها بجميع عناصرها من عاطفة وخيال وذاكرة وغريزة للموسيقى . ([٦]) ان الشاعر عند نزار لا يعرف شيئا عن قصيدته فهو اشبه ما يكون بامراة حامل موضوعة على طاولة العمليات لا تعرف من هو طبيبها ولا زوجها ولا تاريخ زواجها ، فالشاعر موجود في الشعر بشكل الزامي فهو كالسمكة تعيش في داخل محيطها ولا تستطيع الخروج عن هذا المحيط فلا تملك انسحابا ولا خلاصا .([٧]) ،وان كان الشاعر لا يعرف شيئا عن عمله الابداعي فليس معنى هذا الكلام ان الشاعر يكتب لنا قصائد لا معنى لها ،والمفروض من الشاعر التواصل مع الجمهور الذي الذي يكتب له حتى يضمن لرسالته الشعرية نجاحا مميزا ،ولذلك فقد اعطى نزار للمتلقي اهمية كبرى . ([٨]) ،فالعلاقة بين الشاعر والجمهور مهمة جدا ، وقد اعتبر الدهشة او الفجائية عاملا من عوامل التاثير الشعري لان الشعر هو القدرة على احداث الدهشة وبغير الدهشة تتحول القصيدة الى تصريح خال من المفاجئات ، وتتحقق الدهشة عن طريق حياد الكلمات عن معانيها القاموسية .([٩]) ،فقد التزم شعراء الحداثة بالقصيدة المفاجئة او المدهشة التي تكون بالضرورة خارجة عن نطاق المالوف او العادة وهذا المنحى التزم به شعراء الحداثة كما ذكرنا ،فكل حركة في الحياة عند نزار لابد لها ان تعبر عن نفسها بطريقة استثنائية خارجة عن المالوف . فالقصيدة عنده اصوات متعددة تمثل لقاء بين الكلمات والنصوص وهذا ما عبر عنه السيميائيون والتفكيكيون بالتناص ، فنزار لا يؤمن بالصدفة في الابداع فالكلمة الواحدة مشحونة بعصور من الكلام قبل ان تصل الينا ،ولهذا فهو يجعل من الابداع والتجديد معركة حقيقية فيقول: " احتكاك اليمين باليسار امر حتمي في كل مجتمع صحيح البنية ومعافى ، فاليمين هو الجانب الوقور الهادئ الذي يؤمن بقداسة القديم ،انه الجانب الذي ارتبط ذهنيا ونفسيا ووراثيا بنماذج من القول والتعبير ،ويرفض أي تعديل فاليمينيون من الشعراء لازالوا يرون في المعلقات والقصائد العصماء ذروة الكمال الادبي ([١٠]) ،وبهذا فقد ثار نزار على شعراء التقليد ،ولكن يجب ان يفهم القارئ او المتلقي بان الحداثة ليست ضد الماضي ،وهذا ما تؤكده تصريحات "ادونيس"على ان الحداثة هي ضد الثابت في موروثنا الشعري ،وهي بمثابة المتحول في هذا الموروث ،ويعني ادونيس بالمتحول ،القيم الحية المضيئة في عتمة التاريخ الشعري ([١١]) .

ويذكر لنا الشاعر نزار ان اللغة الشعرية للقصيدة أصيبت بزلزال عنيف وبريح صرصر عاتية فاصبحت لغة مفككة البناء من الناحية اللغوية فلا يترك هذا الزلزال لغة ولا فاعلا ولا مفعولا ولا خبرا ولا مبتدا ولا فاصلة ...الا ويبعثره وبذلك فان نزارا يشعر ان لغة جديدة تتشكل تحت الرماد من اثر الزلزال ،ولهذا فقد عبر عن الشعر بالرقص في اكثر من مرة .([١٢]) ،فالحدث الشعري عنده يتجسد فيما ذكرناه من مبادئ وعناصر واليات تصنع قراءة فكر نزار قباني ونظرته في الشعر.

---

٤) نزار وانا ، مفيد فوزي، "اطول قصيدة اعتراف" الهيئة المصرية العلمية للكتاب ، ط١، د.ت.ص: ١٧٣

٥) قصتي مع الشعر ،نزار قباني، ص:١٩

٦) ما هو الشعر، نزار قباني ص:٢٤

٧) الحداثة الشعرية، محمد عزام،"نزار قباني في" ص:١٠٩

٨) مطارحات في فن القول ،محاورات مع ادباء العصر، محي الدين صبحي ، ص: ١٠٥ فما بعد وانظر: قصني مع الشعر،ص:٥٨ وانظر: الحداثة الشعرية ،محمد عزام ،ص: ١١٢

٩) ديوان طفولة نهد، نزار قباني ، ص:المقدمة

١) نزار وانا "اطول قصيدة اعتراف"،مفيد فوزي، ص:٦٠ وانظر: ما هو الشعر؟، نزار قباني، ص:١٣

٢) قصتي مع الشعر ، نزار قباني،ص: ١٥٧

٣) مطارحات في فن القول ، محيي الدين صبحي ، ص:١٠٧ وانظر: ما هو الشعر؟ ص: ١٠٦ فما بعد وانظر:نزار وانا ، ص: ٣٦

٤) الشعر قنديل اخضر، نزار قباني ،ص:٢٨

٥) اسئلة الشعر،جهاد فاضل،ص:٣٦٧ وانظر: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية ، بشير تاوريريت،ص:٣٧٢ فما بعد

٦) نزار وانا ، مفيد فوزي، ٢٦، ٦١ وانظر:ما هو الشعر، ص:١٢١ فما بعد

" خاتمة البحث "

يعد الشاعر نزار قباني من الشعراء العرب المعاصر ين فقد لاحظت ان مسوغات دراسة الشاعر نزار قد تشكلت في فضـاء الالتـزام ووفـق قـراءات متباينـة لـه بحيـث انقسم الموقـف النقـدي فـي مرحلتـي الخمسينيات والستينيات على قسمين ،احدهما يلتزم نظرية ذات ابعاد ايديولوجية محـددة وهـو حـال جماعـة شعر والاخر يلتزم بالمذاهب الاخرى كالواقعية الاشتراكية ..، وهـذا مـا جعـل الشـاعر يمـر بمـرحلتين مـن مراحل بناء القصيدة العربية وهما مرحلة الانبهار وتقليد الاخر الغربي ومرحلة استيعاب النظريات الفكرية والنقدية الحداثية ،وهي المرحلة التي اخرجت لنا شاعرا يتمثل معالم الحداثـة العربيـة فـي شـتى تمظهراتهـا ،ولقد قمت بعرض الموقف الشعري والنقدي عند نزار قباني مـن خـلال التحليـل والشـرح الـذي قدمتـه فـي البحث وبشكل موجز حيث توصلت الى نتائج مهمة نوجزها بما يلي: -

١. ان الشاعر نزار قباني يركز في نظريته الشعرية على تفعيلة اليات التشكيل الشعري المتجسد فـي اللغـة الشعرية والشكل الشعري من جهة وضرورة خلق حوار صدامي مع البنـى الاجتماعيـة والسياسـية مـن منطلق الرفض والتحريض من جهة اخرى .
٢. ان قدرة القصيدة الجيدة تتمثل في الخروج على القانون ،فليس ثمة قصيدة ذات مستوى لا تتنـاقض مـع عصرها ولا تتصادم معه .
٣. يحدث الشعر عشرات الانفجارات داخل اللغة فتنكسر العلاقات المنطقية بين المفـردات ويتغيـر معناهـا الاصطلاحي والقاموسي ،واللغة عنده وسيلة للاتصال بالغير فعمل على تبسيطها وجعلها سهلة لا جهـد فيها.
٤. ان الشعر عبارة عن عصيان لغوي خطير على كل ما هو سائد ومالوف .
٥. ان الشعر عنده عمل من اعمال الرفض والمعارضة وليس القبـول او المـوالاة ، ووظيفـة القصـيدة هـي وظيفة تحريضية لا توفيقية فالقصيدة هي محاولة لاعادة بناء النفس الانسانية .
٦. ان الشعر في تصوره مخطط ثوري ينفذه انسان غاضب ويريد من خلاله تغيير صورة الكون ،ولا قيمة للشعر ما لم يحدث تغييرا في حياة الانسان ،فالشعر هو اغتصاب العالم بالكلمات .
٧. ان خصائص التشكيل اللغوي قي قصائد نزار تتمثل في تقريرية الخطاب ورفض الغمـوض قـي الشـعر وتوظيف الالفاظ العامية ،حيث يستطيع القارئ تلمس الخطابية في الكثير من اعمالـه الشـعرية كمـا فـي قصيدته "صاحبة السمو حبيبتـي" وقصـيدته "هـوامش علـى دفتـر النكسـة " وفـي الكثيـر مـن قصـائده السياسية الاخرى .
٨. يرفض الشاعر نزار كل كتابة شعر لا تنطلق من معايشة او ممارسة لان الكتابة التي تنـتج عـن حلـم لا عن الحرية تبقى عقيمة ويعطينا مثلا تجربته "شعر الحب " الذي تفـرد فـي تشـكيله اسـتنادا الـى تفعيـل تجارب معاشة .
٩. لم يكن الشاعر ضد الدين وليس عنده موقف معاد من الدين الاسلامي والمسيحي وانما هو ينتقد ويثـور على من يتاجر باسم الدين وعلى من يخادعون النسـاء بالشـعوذة والسـحر ثـم يمارسـون الجـنس بحجـة العلاج والمداواة ،وبذلك فهو يهاجم النظام الاقطاعي والدليل على ذلـك انـه انشـد قصـيدة عصـماء عنـد زيارته قبر الرسول "صلى الله عليه واله وسلم" قبل وفاته بعام أي في العام ١٩٩٧م ،وبهذه القصيدة قد عكس مستويات الايمان كشخص ومستويات التشكيل الجمالي والنقدي كشاعر وكمبدع .
١٠. تحدد موقفه بدقة من تحول مساره الشعري بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م، فشعره يتضمن التصـوير الشعري الخيالي الانيق .
١١. ينطلق في تاسيس العوالم الشعرية الحداثية مـن الواقـع الشـعري ،واقـع تجربتـه الشـعرية "ويرسـم وجهه الشعري بيده قبل ان يفصله النقاد على هواهم ،فهو شاعر حداثي متفرد .
١٢. يتميز شعره بالنزعة الوجودية الممتزجة بالنرجسية احيانا ، وان ادبه يقسـم علـى خمـس مراحـل ،مرحلة العطش والجوع ١٩٤٤ م وحتى ١٩٥٠ م كما في ديوانه "قالت لـي السـمراء" و"طفولـة نهـد "وغيرها ومرحلة ما بين الذات والاخرين ١٩٥٦م ـ ١٩٦٨م كما في ديوانه "حبيبتي" و"يوميات امراة لا مبالية" وغيرها ومحنة الارتواء بالانطواء (١٩٦٦مـ١٩٧٠م) وتتمثل في ديوانه "الرسم بالكلمـات" و"مئة رسالة حب" وغيرها ومرحلـة التخمـة وافـلاس الشـعور "١٩٧٢م وتتمثـل فـي ديوانـه "اشـعار خارجة على القانون" ومرحلة الهاجس الجنسي ١٩٨١م وتتمثل في المؤلفات "كل عام وانـت حبيبتـي" "واشهد ان لا امراة الا انت" ...الخ .
١٣. انه ينادي بتحرير الجنس من القيود الاجتماعية فضلا عن مناداته بتحرير المراة وتحريـر المجتمـع العربي .

١٤. لقد استمر نزار في تحطيم اصنام البلاغة القديمة مستمرا في اباحياته ومدعيا انه يحرر الانسان العربي وعواطفه من الارهاب والقهر والازدواجية وهذا ناتج من جراء ما واجهه من سخط الساخطين عليه ، فبدا في كتابة شعره ذي النزعة الوجودية وبصراحة طفولية وصدر شمولي ،وبلغة بسيطة وتصوير خيالي انيق .

مظان البحث وروافده :-

١. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د.إحسان عباس، دار الشروق،عمان،الاردن، ط١٩٩٥،١م.
٢. اسئلة الشعر، نير العكش،دار الآداب ،بيروت،د.ط.،١٩٧٩م.
٣. أسئلة الشعر، جهاد فاضل،الدار العربية للكتاب،د.ت.
٤. اساليب الشعرية المعاصرة،د.صلاح فضل، دار الآداب،بيروت،ط١٩٩٥،١م.
٥. الإيقاع في شعر نزار قباني،سمير سيحمي،الاردن،ط١، ٢٠١٠م.
٦. الإيقاع في شعر نزار قباني، د.شكري محمد عياد، القاهرة،د.ت.
٧. الأعمال الشعرية الكاملة،نزار قباني، "مجلدان" ،ط٢،منشورات نزار قباني،بيروت،١٩٧٩م.
٨. أسرار القصائد الممنوعة،لنزار قباني،شاعر الحب والحرية، بنان محمود ابو عبد،ط١،الاردن، ٢٠٠٩م.
٩. تشكيل الموقف النقدي عند ادونيس ونزار قباني ، د . حبيب بو هرر ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
١٠. الجسد ومسخه في النقد العربي الاسلامي، مجازا الى رؤية العالم، حمادي الزنكري، حوليات الجامعة التونسية، ١٩٩٥/٣٩م.
١١. الجامع في تاريخ الادب العربي،حنا الفاخوري، الادب الحديث،منشورات ذوي القربى ،ط ١٤٢٤،٢ه.
١٢. الحداثة الشعرية،محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب،ط١٩٨٥،١م.
١٣. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية بشير تاوريريت، ط١، الاردن ،٢٠١٠ م .
١٤. دراسات في الشعر العربي الحديث ، امطانيوس ميخائيل، المكتبة العصرية، بيروت ، ط١ ،١٩٦٨م .
١٥. دراسات في الشعر "النار والجوهر"،جبرا ابراهيم جبرا،بيروت، ط ١, ١٩٧٥م .
١٦. ديوانه ،ج١،ج٢،بيروت،د.ت.
١٧. ديوان طفولة نهد،نزار قباني،منشورات نزار قباني،بيروت،ط ١, ١٩٦٨م.
١٨. الرسم بالكلمة،في لاشعر نزار قباني، حسان البحمدي،بيروت،لبنان،منشورات نزار قباني،١٩٦٦م.
١٩. روائع نزارقباني،اعداد: سمر الضوى،تقديم: محمد ثابت،الروائع للنشر والتوزيع،ط ٣ ، ٢٠٠٤م.
٢٠. شعرنا الحديث الى اين،غالي شكري،دار المعارف بمصر،القاهرة،١٩٦٨ م .
٢١. عروبة نزار قباني ، د . احمد الخوص ، بيروت ، د . ت .
٢٢. فن الحب، اريك فروم،ترجمة: عبد المنعم مجاهد،دار العودة،بيروت،ط١، ١٩٧٢م.
٢٣. الفن والحلم والفعل،جبرا ابراهيم جبرا،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٨٦م.
٢٤. في الأدب الحديث ونقده،عماد علي سليم الخطيب،دار المسيرة للنشر والتوزيع،الأردن،ط١ ، ٢٠٠٩م.
٢٥. قصائد لنزار قباني منعتها الرقابة، محمد ثابت،مطبعة الشورى،ط ١ ، ٢٠٠٣م.
٢٦. قصتي مع الشعر،نزار قباني،ط١،منشورات نزار قباني،بيروت،١٩٧٣م.
٢٧. المفارقة في شعر الرواد،د.قيس حمزة الخفاجي ،دار الأرقم للطباعة،الحلة،٢٠٠٧م.
٢٨. مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر ،ا.ا.ريتشارد، ترجمة: محمد مصطفى بدوي،مراجعة: سهير القلماوي، ط١،المجلس الاعلى للترجمة،القاهرة،٢٠٠٥م
٢٩. ما هو الشعر؟ نزار قباني،منشورات نزار قباني،بيروت،ط ٣ ، ٢٠٠٠م.
٣٠. مطارحات في عن القول، محيي الدين صبحي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،١٩٧٨م .
٣١. مجلة الموقف الثقافي، بيروت/ العدد السادس،١٩٩٦م .
٣٢. النرجسية في ادب نزار قباني،د.خريستو نجم، دار الرائد العربي،بيروت ط ١ ، ١٩٨٣م.
٣٣. نزار قباني شاعر المرأة،ايليا حاوي،ج١،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط١، ١٩٧٣م.
٣٤. نزار قباني في عيون النقاد،جمع وتقديم: جعفر ماجد، منشورات رحاب المعرفة،بيروت ط١، ١٩٩٩م.
٣٥. نقد الشعر ،علي الطائي، وزارة الثقافة،بغداد،ط١ ، ٢٠٠١م.
٣٦. نظرية الأنواع الأدبية،م.ل.فنسنت ، ترجمة:د.حسن عون،منشاة المعارف،الإسكندرية ،ط ٢ ،١٩٧٨م
٣٧. نزار قباني حياته وشعره، عبد الفتاح الراويش، ط١، الاردن،٢٠٠٩م
٣٨. نزار وانا، مفيد فوزي، "اطول قصيدة اعتراف " الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٩م.
٣٩. ينابيع الرؤيا،جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،ط١، ١٩٧٩م .